ISSN: 3079-
مجلة علمية محكّمة نصف سنوية تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية
https://alasala.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/aj/index

مقاربات المكان عند زياد علي

أ. كريمة الهادي انتيرة*
عضو هيئة تدريس بكلية التربية/بدر
جامعة الزنتان
kareemeelhade1981@gmail.com
تاريخ الارسال 2026/4/1م تاريخ القبول 2026/4/25م

Spatial Approaches in the Narratives of Ziad Ali

KAREMA ELHADI ENTERA

Our country has witnessed a comprehensive civilizational renaissance—politically, socially, economically, and culturally—requiring a literature that accompanies this transformation, embodies its values, and voices the hopes of the people. Such literature is incomplete without conscious criticism that guides its course and refines its presentation, especially as it now spans various forms of expression: poetry, essays, studies, stories, novels, and drama.

Dr. Ziyad Ali's literary work encompasses most of these genres, particularly the short story. He draws his themes from the memory of his parents—both accomplished folk poets—which lends his writings a distinctly popular tone. He declares himself more a product of the streets than of schools, shaped by the cities he wandered alone.

The uniqueness of his writing lies in his deep awareness of the role of place as a dynamic narrative element, not merely a setting. He successfully transforms spaces into symbols filled with emotional and intellectual significance, expressing the human condition and internal conflicts. His spatial approach stands as a contemporary critical model, demonstrating how place can shape narrative structure and influence the reader.

Through this, Ziyad Ali has made a creative and critical contribution to modern Arabic literature, turning place into a powerful medium for conveying human vision in times of transformation.

الملخص:

شهدت بلادنا نهضة حضارية شاملة في السياسة والمجتمع والاقتصاد والثقافة، مما يستدعي أدبًا يواكب هذه التحولات، ويجسد قيمها، ويعبر عن آمال الجماهير. ولا

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC

يكتمل هذا الأدب إلا بنقد واعٍ يوجّه مسيرته ويُحسِّن طرحه، لاسيما وأنه بات يشمل أغلب أشكال التعبير من شعر، ومقال، ودراسة، وقصة، ورواية، ومسرح.

تتجلى في تجربة الدكتور زياد علي معظم هذه الأجناس الأدبية، بخاصة القصة القصيرة، حيث استقى موضوعاته من ذاكرة والديه، وكلاهما من شعراء البادية الشعبيين، ما منح تجربته طابعًا شعبيًّا مميزًا، وهو يصرّح بأنه ابنُ الشارع أكثر من المدرسة، مكتسبًا ثقافته من المدن التي جابها.

وتكمن فرادة أدبه في وعيه العميق بدور المكان بوصفه عنصرًا سرديًّا نابضًا، لا مجرد خلفية للأحداث؛ فقد نجح في تحويل الأمكنة إلى رموز تحمل دلالات شعورية وفكرية عميقة، تعبّر عن صراعات الإنسان الداخلية وتجربته الوجودية. وتُعَدُّ مقاربته للمكان نموذجًا نقديًّا معاصرًا يبرز كيف يمكن للمكان أن يشكّل السرد ويؤثر في المتلقي.

وبهذا يكون زياد علي قد أسهم إبداعيًّا ونقديًّا في إثراء الأدب العربي الحديث، وجعل من المكان أداة فاعلة في التعبير عن رؤية الإنسان في عصر التحولات.

زياد علي-المكان- مقاربات- السردية-الفضاء-الأدب الليبي

أولاً ـ مدخل الدراسة:

شهدت الدراسات الأدبية المعاصرة تحولاً لافتاً نحو العناية بـ "المكان" بوصفه عنصراً حيوياً في تشكيل الهوية الثقافية والسردية للنص. فلم يعد المكان مجرد حيز جغرافي تمر به الأحداث، بل أضحى فضاءً تأويلياً يساهم في تعميق الدلالات وبلورة الرؤى الفكرية. وفي هذا السياق، يبرز أدب "زياد علي" كنموذج إبداعي وظّف المكان بطرائق مبتكرة، مما يستدعي دراسة مقارباته المكانية لفهم كيفية تفاعل البيئات المختلفة مع تطور السرد وتصاعد الحدث الدرامي.

ثالثاً ـ مشكلة الدراسة:

تكمن إشكالية البحث في الفجوة النقدية القائمة حول أدب زياد علي؛ فبالرغم من الحضور الجوهـري للمكان في نصوصه، إلا أنه لم يحظَ بدراسات معمقة تتناوله بوصفه "فاعلاً سردياً" يتجاوز كونه خلفية للأحداث. فالمكان لديه يساهم مباشرة في بناء الشخصية وتوجيه مسارات الحبكة؛ لذا يطرح البحث تساؤلاً رئيساً: كيف تجسّد المكان في أعمال زياد علي؟ وإلى أي مدى تعكس هذه البيئات التحولات الفكرية والنفسية في منظوره الإبداعي؟

ثانياً ـ هدف الدراسة:

يسعى هذا البحث إلى استقصاء تجليات المكان في المدونة السردية للكاتب زياد علي، وتحليل دوره البنائي في تشكيل الهوية النصية. كما يهدف البحث إلى الكشف عن كيفية توظيف البيئات المتنوعة لتعزيز البنية السردية، مع تقديم قراءة نقدية للمقاربات التي اعتمدها الكاتب في تشييد فضاءاته الأدبية، بما يبرز الأبعاد النفسية والاجتماعية والثقافية الكامنة في ثنايا المكان.

رابعاً ـ الدراسات السابقة :

اتسمت الجهود النقدية في العقود الأخيرة بتعدد زوايا النظر إلى الفضاء الأدبي، ويمكن تصنيفها وفق المسارات الآتية:

1ـ المقاربات الظاهراتية والنفسية: كما في دراسات "غاستون باشلار" التي ربطت بين الألفة المكانية والذاكرة واللاوعي.

2ـ الدراسات السردية والبنيوية: والتي ركزت على الوظيفة البنائية للمكان، ومنها مفهوم "الكرونوتوب" (الزمان-مكان) عند "ميخائيل باختين".

3ـ النقد العربي المعاصر: الذي قارب المكان بوصفه انعكاساً للتحولات الاجتماعية والسياسية، كما نجد في أطروحات "سعيد يقطين" و"عبد الله الغذامي".

4ـ خصوصية البحث: يلاحظ غياب الدراسات المتخصصة التي تفرد حيزاً مستقلاً لأدب زياد علي من منظور "شعرية المكان"، وهو ما يسعى البحث الراهن لتعويضه.

المطلب الأول ـ المفهوم والماهية:

تُعرف مقاربات المكان بأنها جملة من الأطر النظرية والمنهجية التي تهدف إلى فهم آليات التفاعل بين الإنسان ومحيطه، وكيفية صياغة التجارب البشرية ضمن سياقات ثقافية واجتماعية محددة. فالمكان في هذا المنظور ليس حيزاً ساكناً، بل هو "فضاء مشحون" بالدلالات والمشاعر التي تشكل وعي الفرد بذاته وبالآخر.

وتقوم هذه المقاربات على رصد تفاعل الذات مع المكان عبر التجربة المعيشة؛ فالمكان يساهم في صياغة الهوية الجماعية من خلال ما يتركه من ذكريات وانطباعات. كما تبحث هذه المقاربات في "سوسيولوجيا المكان"، أي كيف يعكس توزيع الفضاءات الهياكل الاجتماعية، وكيف تؤثر المتغيرات التاريخية والاقتصادية في تحويل المفاهيم المكانية بمرور الزمن.

ختاماً، تمثل مقاربات المكان أداة تحليلية ناجعة لاستكناه التعقيدات الإنسانية، فهي ترفض التفسير الأحادي وتؤكد على أن المكان كينونة متطورة تتشكل باستمرار نتيجة التفاعل بين الوعي البشري والبيئة المحيطة.

أولاً ـ المكان في اللغة:

تتعدد الدلالات اللغوية لمادة (مَ كَ نَ) في المعاجم العربية، وهي في مجملها تدور حول الاستقرار، والتمكن، والمنزلة. ويمكن رصد أبرز هذه المعاني فيما يلي:
الاستقرار والمنزلة: جاء في "المعجم الوسيط" أن (مَكُنَ) فلانٌ أي عظمت مكانته وصار ذا منزلة، وهو ما يؤكده النص القرآني في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [1].
القدرة والتمكين: ورد بمعنى جعل السلطان والقدرة للشيء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [2]، وبمعنى الاستقرار في الموضع والظفر به [3].
الموضع والرفعة: عرّف "المعجم الوجيز" المكان بأنه (الموضع)، والمكانة بأنها (الرفعة والمنزلة)، والاستمكان من الشيء يعني التمكن منه [4].
الحيز الجغرافي: أكد الجوهري في "الصحاح" أن المكان والمكانة يشيران إلى الموضع [5]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ [6].

ثانياً ـ المكان في الاصطلاح :

استأثر مصطلح المكان باهتمام نقدي واسع في الأدب العربي الحديث، متأثراً بالدراسات الغربية التي تناولت مفهوم الفضاء (Espace). وقد تعددت المصطلحات المقابلة له بين (الفضاء، الفراغ، الحيز، المساحة)، إلا أن مصطلح "المكان" ظل هو الأكثر قبولاً واستقراراً في التداول النقدي، كونه يؤدي الغرض الاصطلاحي في مختلف السياقات السردية والشعرية [7].
وتميل الاتجاهات النقدية العربية إلى ربط المكان بدلالات وجدانية واجتماعية؛ فهو يرتبط بالاستقرار، واستشعار الأمان، والحماية من المخاطر، كما يمثل الحيز الذي يحفظ الكيان الإنساني ويضمن استمرارية الحياة.
أما من الناحية الفلسفية، فقد عُرّف المكان بأنه "الوعاء الذي يحل فيه الشيء، أو الحيز الذي يحده ويفصله عن غيره"؛ ومن ثم لا تتحدد هوية المكان إلا من خلال علاقته بالأشياء التي تشغله أو بالفضاء المحيط به. ورغم تباين المنطلقات المعرفية للفلاسفة، إلا أن تعريفاتهم تلتقي في كونه حيزاً يسمح بالحركة والتموضع؛ فقد عرفه "أيجر" بأنه "الوسط الذي تقع فيه الأجسام والحركات"، بينما اعتبره "أندري لالاند" وسطاً مثالياً يحتوي كافة الامتدادات المحسوسة [8].

مشكلة المصطلح :

يُعد المصطلح الدعامة الرئيسية للفكر والمعرفة، والمنطلق الأساس للتواصل الثقافي؛

إذ تمثل المعاني الاصطلاحية المعايير التي يُحتكم إليها في تقييم سلامة الخطاب واستقامته. وقد وضع العلماء تعريفات عدة للاصطلاح، منها:

ـ نقل اللفظ من معناه اللغوي إلى معنى آخر لوجود مناسبة بينهما.

ـ اتفاق طائفة مخصوصة على وضع اللفظ في مقابلة معنى محدد.

ـ أنه لفظ يتواضع عليه قوم معينون [9]

ومن خلال هذه التعريفات، يتضح أن الاصطلاح نتاج عرف علمي واتفاق على تسمية الأشياء بعد نقلها عن دلالتها الأصلية لمناسبة جامعة، سواء أكانت تلك المناسبة عموماً أو خصوصاً، أو مشاركة في أمر، أو مشابهة في وصف [10]

بناءً على ذلك، ينبغي عند إنشاء المصطلح النقدي الحداثي مراعاة الجوانب الاشتقاقية والمعرفية، فضلاً عن القواعد النحوية والصرفية والمعجمية. وتبرز إشكالية اختيار اللفظ المناسب عند ترجمة المصطلح النقدي، وهي معضلة قد يصدق عليها وصف "خيانة المترجم" [11]؛ نظراً لتعدد الدلالات الصوتية والمعنوية والإيحاءات التاريخية للفظ في لغته الأم.

وقد توقفت مدرسة "ما بعد الحداثة" عند هذه الربكة في تحديد ماهية المصطلح، معتبرة أن المعاني اللغوية للمصطلحات (سواء العربية أو الدخيلة) لا تمنح دقة كافية في ضبط المفهوم. ويظهر ذلك جلياً في اختيار مصطلح "المكان" مقابلاً للفظ الفرنسي (l'espace)؛ فاللفظ الفرنسي يحمل دلالة "الفضاء" بوصفه امتداداً لا متناهياً يحتوي الكائنات، أو "المجال الحيوي" (Lebensraum) الذي يعبر عن حاجة الدولة للتوسع.

أما في المعاجم العربية، فالمكان يشير إلى موضع كينونة الشيء واستقراره، وهو من "مكَن" وميمه زائدة على وزن "مَفْعَل" [12]. غير أن الاستعمال العربي للمكان يحمل أبعاداً نفسية واجتماعية؛ فقولهم "مكانك" للتحذير، و"تمكّن من الشيء" بمعنى ظفر به [13]، يعكس دلالات الاستقرار، والراحة، والأمان، والقدرة على مواجهة المخاطر؛ فالظفر في جوهره تغلُّب على الصعاب ونيل للمبتغى.

ولا يمكن قصر المصطلح على المفهوم الأعجمي الضيق؛ إذ عرفت الثقافة العربية دلالات متعددة تداخل فيها مفهوم المكان مع ثلاثة مصطلحات هي: (الخلاء، والحيز، والفضاء)، وسأعرض لها بإيجاز:

ـ المكان: عَرَفه "الإشراقيون" [14] وأفلاطون بأنه البعد المجرد الموجود، وهو ألطف من الجسمانيات وأكثف من المجردات. بينما ذهب المتكلمون إلى أنه بُعد موهوم يشغله الجسم، وهو ما يعرف بـ "الخلاء". وقد أضاف الجرجاني [15]تمييزاً بين "المكان

المبهم" (الذي لا تدخل مكوناته في مسماه) و"المكان المعين" (كالدار التي تدخل مكوناتها كالسقف والحائط في مسمى الدار)[16]. ثم برز مصطلح "المكان التاريخي" المرتبط بعهد مضى أو بكونه علامة زمنية.

ـ الحيز [17]: هو الفراغ مطلقاً، ويراد به في اللغة "المكان". أما عند الحكماء والمتكلمين فهو البعد المتوهم. وعند التفتازاني[18] يعد الحيز أعم من المكان؛ لأنه الفراغ المتوهم الذي يشغله الشيء سواء كان ممتداً أو غير ممتد.

ـ الخلاء: هو عند المتكلمين امتداد موهوم في الجسم أو في نفسه، صالح لأن يشغله الجسم؛ ويسمى "المكان المطلق" عند القائلين به، بينما يرى أكثر الفلاسفة أنه لا وجود للخلاء في العالم أو خارجه [19].

ـ الفضاء: هو المكان الواسع من الأرض، ويحمل دلالة مشتركة بين المكان والحدث (الاتساع). والفضاء هو الساحة والصحراء وكل ما استوى من الأرض.

وبتحليل هذه المصطلحات الأربعة، نجد أنها تتقاطع مع مفهوم "البيئة" (Environment) بمعناه الشامل، والذي ينقسم إلى:

1ـ البيئة الطبيعية: وتشمل العوامل الجغرافية والجيولوجية والمناخية، وهي من صنع الخالق عز وجل، وتضم التضاريس، والمسطحات المائية، والكائنات الحية، والكون المحيط.

2ـ البيئة الحضرية (المبنية): وهي من صنع الإنسان، وتشمل المنشآت، والمباني، والطرق، وكل ما تؤويه المستوطنات البشرية من كائنات وأشياء [20]

أهمية المكان

اقتضت مشيئة الله عز وجل أن يكون الإنسان من طين الأرض، وجعل له فيها مستقراً إلى أجل مسمى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾ [21]. إن ارتباط الإنسان بالمكان يتجاوز المفهوم المادي؛ فالوطن ليس مجرد تراب، بل هو امتداد للروح والذاكرة.

وتكمن أهمية المكان في كونه الملاذ الآمن الذي يشبع حاجات الإنسان البيولوجية والنفسية في صراعه من أجل البقاء؛ ومن هنا قامت الحضارات حول الأماكن التي تحقق هذا الأمان، وكان "الماء" المحور الذي تشكلت حوله المدن. إن المكان –بناءً على ذلك– ليس مجرد حيز جغرافي، بل هو فضاء يدخل معه الإنسان في علاقة نفسية عميقة تؤثر في سلوكه، وقيمه، وترتيب أولوياته في الحياة.

مفهوم المكان عند النقاد الغربيين :

ارتبط مفهوم المكان في المقاربات النقدية -شرقاً وغرباً- بفن الرواية على وجه الخصوص؛ حيث عكف النقاد على تحليل عناصر السرد الروائي، وكان "المكان" أحد أبرز هذه العناصر. ومن الملاحظ تعدد المصطلحات التي صيغت للتعبير عن هذا المفهوم، حتى كادت تتعدد بتعدد النقاد أنفسهم؛ إذ غالباً ما يطرح باحث مصطلحاً ليسارع آخر بتبني مصطلح مغاير.

وفي هذا السياق، حصرت الباحثة الليبية "بلسم محمد الشيباني" مجموعة من هذه المصطلحات، منها: (الفضاء، المكان، البيئة، الإطار، الحيز، المكان الروائي، المكان في الرواية، الفضاء المكاني، المكان الحكائي، الفضاء الجغرافي، الفضاء الواقعي، الكرونوتوب، الزمكان، الفضاء الروائي، فضاء النص، الفضاء الدلالي، الفضاء النصي، والفضاء الحكائي [22]. ويبدو أن هذا التباين الاصطلاحي يعكس في بعض جوانبه رغبة في التميز المنهجي، وإلا فإنه يصعب أحياناً إيجاد فروق جوهرية بين مصطلحات متقاربة مثل "المكان الروائي" و"المكان في الرواية"، أو "الفضاء النصي" و"فضاء النص".

وتعود عناية النقاد بالمكان إلى أصول قديمة، لعل أبرزها إشارات "أرسطو" [23] في كتابه (فن الشعر)، حيث أورد "المنظر" كعنصر من العناصر الستة المكونة للمأساة، وجاء ترتيبه بعد القصة والأخلاق والعبارة والفكر. ويكشف هذا التسلسل في الفكر الأرسطي عن قيمة "المنظر"؛ إذ يبدو أن أرسطو رأى أن العناصر الأخرى (القصة، الأخلاق، العبارة، الفكر) تظل معانٍ مجردة لا تكتسب قيمتها الحقيقية في حياة الإنسان ما لم تتجسد في وجود مادي وحيز مكاني ملموس[24].

وفي العصر الحديث، يرى كثير من النقاد أن كتاب "فرديناند دي سوسير"[25] (دروس في الألسنية العامة) قد أحدث ثورة في الدراسات الأدبية، وكان له الفضل في توجيه البحث نحو الدقة العلمية والموضوعية، وهو ما انعكس لاحقاً على تحليل البنيات المكانية في النصوص.

وعلى صعيد الثقافة العربية، استمر الاحتفاء بالمكان حتى صار معياراً للتفضيل والمفاضلة؛ ولم يقتصر ذلك على التمييز بين العرب والأعراب، بل امتد ليشمل العلماء والرحالة في وصفهم للصحاري والسهول. كما برز المكان كأداة نقدية بين الشعراء، حيث كان يُسأل الأعراب عن الألفاظ الغريبة التي تظهر في غير سياقها المكاني الصحيح، منتقدين بذلك من يصف بيئات لم يعاينها أو يختبرها واقعيًا[26].

المطلب الثاني ـ مقاربات المكان :

تعددت المداخل النقدية التي قاربت "المكان" بوصفه بنية دلالية وجمالية تتجاوز الحدود الجغرافية الصرفة؛ إذ تضافرت جهود المدارس النقدية الحديثة لتأسيس "شعرية للمكان" تستكشف علاقة الذات المبدعة بالفضاء، وترصد التحولات التي تطرأ على ماهية المكان عند انتقاله من الواقع المعيش إلى المتخيل السردي.

أولاً ـ المقاربات الغربية:

يجمع النقاد على أن الدراسات المنهجية التي أولت المكان عناية خاصة بأنماطه ودلالاته قد انطلقت جذورها من فرنسا في القرن الماضي. ومن أبرز الأعلام الذين أرسوا دعائم هذه المقاربات:

ـ غاستون باشلار [27]: يُعد كتابه (جماليات المكان) المرجع الأول الذي استرعى انتباه النقاد العرب لأهمية الفضاء في الإبداع الروائي. ركز باشلار على القيم الرمزية للمناظر التي يشكلها السارد أو الشخصيات، سواء في "أمكنة الألفة" الثابتة (كالبيت والغرفة) أو في أمكنة الانتقال. وقد طرح باشلار مفهوم "جدلية الداخل والخارج" و"المفتوح والمغلق"، مؤكداً أن اللغة ذاتها تحمل في طياتها هذا الجدل [28].

إن النقطة الجوهرية في أطروحته هي "بيت الطفولة" بوصفه مركز تكيف الخيال ومستودع الذاكرة؛ فمنظور باشلار يرى في البيت كياناً مثالياً لدراسة ظاهراتية المكان. كما فرّق بين "بيت المدينة" الذي يفتقد القيمة الحميمية والكونية نتيجة العلاقات الميكانيكية المحيطة به، وبين "البيت في محيطه الطبيعي" (بين الجبال أو على حافة الوادي) الذي يمنح القاطن شعوراً بالطمأنينة والحماية [29]، ويؤكد باشلار أنَّ الصور المكانية التي يرسمها المؤلف تستحث خيال القارئ ليصبح شريكاً فاعلاً في بناء العالم الروائي المتنامي [30].

ـ جيرار جينيت [31]: قدم جينيت مشروعاً متكاملاً في الدراسات السردية، ورغم تركيزه على الزمن، إلا أنه قارب علاقة المكان باللغة والأدب. فرأى أن استعارة الألفاظ المكانية للتعبير عن الوجود (مثل استخدام العرب لكلمة "العين") يعكس كيف تنطلق اللغة من الدلالة المكانية لتشمل مظاهر الحياة كافة [32]. وفي الأدب، يرى جينيت أن اللغة تمتلك قدرة فطرية على توظيف العلاقات المكانية كرموز واستعارات للتعبير عن شتى أنواع العلاقات الإنسانية [33].

ـ ميشيل بوتور [34]: انصب اهتمامه على البحث في الصلة بين المكان الروائي والمكان الواقعي للقارئ، واصفاً قراءة الرواية بأنها "رحلة ممتعة"، ويرى بوتور أن

كل نص روائي هو في جوهره حكاية رحلة، تعجز اللغة عن التعبير عنها ما لم تستطع تجسيد المسافة المجازية الفاصلة بين مكان القراءة والمكان الذي تنقله إلينا القصة [35].

وإلى جانب هذه الأسماء، برزت جهود علماء آخرين أثروا الدراسات المكانية مثل: (جيلبير دوران، وجورت أرنو، ورولان بورنوف)؛ حيث يمثل كل منهم اتجاهاً نقدياً جديراً بالدراسة المستقلة. وقد أحصى الدكتور محمد الطربولي تقسيمات الأماكن وتعدد أنواعها في الدراسات النقدية، حتى بلغت ما يزيد عن ثلاثين نوعاً [36].

ثانياً ـ المقاربات العربية:

تأثر النقد العربي الحديث بالمرجعيات النقدية الغربية ومنطلقاتها المنهجية، مما أدى إلى تعدد المسارات التي سلكتها المقاربات النقدية العربية في تناولها للمكان، ويمكن إجمال أبرز تلك الاتجاهات فيما يلي:

ـ المنهج العلمي: وفيه يرتكز الناقد على أسس نظرية محددة وقواعد منهجية صارمة لتحليل النص الأدبي.

ـ المنهج الذاتي: ويعتمد فيه الناقد على الانطباع والنزعة الذاتية، دون الغوص في الأبعاد البنيوية العميقة التي تحكم النص.

ـ المنهج التفكيكي: ويقوم على توظيف آليات الخطاب النقدي الغربي لفك الارتباط بين البنى الفنية وتفكيك النماذج الروائية المختارة.

ـ المنهج ثنائي الشكل: وينحو فيه الناقد إلى تقسيم النص وفق ثنائية (الشكل والمضمون) التقليدية [37].

ـ وتجدر الإشارة إلى أن الاهتمام النقدي العربي المنهجي بدراسة المكان في الرواية قد استمد زخمه من المحاضرة التأسيسية التي ألقاها "غالب هلسا" في ملتقى الرواية العربية بمدينة فاس المغربية عام 1979م. وبالرغم من ريادة تلك المحاضرة، إلا أنها أثارت إشكالية اصطلاحية تمثلت في الخلط بين مفهومي "الفضاء" و"المكان"؛ وهو خلط استدعى توضيحات متتالية من باحثين ونقاد بارزين أمثال: (محمد برادة، وأحمد اليبوري، ومحمد بنيس، وحسن بحراوي، وحميد لحميداني) [38]

وقد شهدت الأوساط النقدية نقاشًا حادًا عقب تلك المحاضرة؛ حيث انتقد محمد برادة التقسيمات التي تبناها هلسا (تأثرًا بباشلار)، معتبرًا إياها لا تخدم التمثيل الدقيق لمفهوم الفضاء، بل قد تؤدي إلى "تعويم إدراكنا لأهمية الفضاء"[39]. ومن هذا الجدل النقدي، تبلور الدرس العربي المعاصر حول شعرية المكان.

ثالثاً ـ المقاربات الليبية:

تبرز في هذا السياق مقاربة الباحثة "بلسم محمد الشيباني" التي اتخذت من (رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني) نموذجاً تطبيقياً في دراستها الموسومة بـ (الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي). قدمت الدراسة مقاربة نصية تحليلية، رصدت فيها علاقات الأفضية وسماتها الجمالية؛ وتُعد هذه الدراسة من النماذج العلمية الموثقة التي استطاعت استجلاء هواجس البحث في المكان الروائي وتوجيهاته المركزية [40].

أما فيما يخص المكان في قصص زياد علي، فيلاحظ تعدد الأماكن وتنوعها بما يعكس سيرة الكاتب الحياتية التي اتسمت بالترحال الدائم؛ فقصصه تكاد تكون "سياحة" في مدن العالم وقراه، بجبالها وبحارها. فهو يصف تجربته بأنه يمضي "متعثراً أيام العمر من مطار إلى ميناء، ومن فندق إلى قرية..." [41].

ونظراً لأن تقسيمات المكان تتباين بتباين الفن الأدبي (رواية، قصة، مسرح، شعر)، فإن لقصص زياد علي بيئتها المكانية الخاصة، والتي يمكن تصنيفها وفقاً للمعايير الآتية:

رابعاً ـ تصنيفات المكان في مدونة زياد علي السردية:

تتعدد أنماط المكان في قصص زياد علي وتتشابك دلالاتها، لتشكل فضاءً درامياً يعكس رؤية الكاتب الوجودية وحالة الترحال القلق التي صبغت نصوصه. ويمكن تصنيف هذه الأمكنة وفق المقاربات الآتية:

1- **المكان بين المرجعية الموضوعية والتخييل المجازي:**

المكان الموضوعي (الواقعي): يشمل كافة المكونات المادية المرجعية التي تحيل إلى واقع جغرافي محدد، سواء كانت أمكنة طبيعية أو اصطناعية. وتزدحم نصوص زياد علي بأسماء مدن عربية وغربية، مما يجعل المكان لديه "وثيقة سفر" تسجل حركة الشخوص عبر المسافات والاتجاهات الجغرافية المحددة، محولةً السرد إلى جغرافيا مكشوفة.

المكان المتخيل (الافتراضي): وهو المكان "المجازي" الذي ينفلت من قيود الجغرافيا ليدخل في حيز العدم أو التيه؛ حيث تكثر في قصصه تعبيرات مثل "الطريق إلى لا مكان"، حيث يغدو المكان فضاءً هلامياً لا هدف فيه، مما يعكس ضياع الشخصية وفقدان البوصلة الغائية في عالم مضطرب.

2. **ثنائية المكان الأليف والمكان المعادي:**

المكان الأليف: وهو الحيز الذي يمنح الشخصية شعوراً بالألفة أو الاحتواء، وتتمثل في (البيت، المقهى، الحديقة، والحانة). هذه الأمكنة تمثل بؤراً للاستقرار النفسي المؤقت، أو فضاءات للتواصل الإنساني والبوح، حيث تتقلص فيها حدة الاغتراب.

المكان المعادي: ويتمثل في الأمكنة التي تفرض على الشخصية حالة من القهر أو العزلة القسرية، وأبرزها (المنفى والسجن). فالمكان هنا يتحول إلى أداة قمعية تضيق على الذات وتنتزع منها حريتها، ويبرز "المنفى" في أدب زياد علي كفضاء شاسع لكنه طارد وموحش.

3. المكان المحدود واللامحدود (الامتداد الهندسي والكوني):

المكان المحدود: هو المكان "الإنساني" ذو الأبعاد الهندسية والحدود الواضحة التي تؤطر حركة الإنسان، مثل (البيت، المدرسة، المسجد، الكوخ، والزقاق). هذه الأمكنة تمنح السرد انضباطاً حيزياً وتكثف الصراع داخل جدران مغلقة.

المكان اللامحدود: وهو الفضاء الكوني الواسع الذي يتميز بالامتداد واللانهاية، مثل (السماء، الأرض، الجبال، الصحراء، والبحار). المكان هنا يمثل الانفتاح المطلق، وغالباً ما يرتبط بمشاعر الرهبة أو الحرية المطلقة.

4. الخصائص النوعية لطبيعة المكان:

المكان العالي والمنخفض: يعمد الكاتب إلى توظيف "شعرية الارتفاع" من خلال (الجبل، المئذنة، الكثبان، وقمة كليمنجارو) كرموز للتعالي أو الطموح أو المواجهة، في مقابل الأمكنة "المنخفضة" (كالقبو والكهف) التي تحيل إلى العزلة، والسرية، أو الانحباس تحت وطأة الوجود.

المكان الساكن والمتحرك: تتجلى براعة زياد علي في رصد "ديناميكية المكان"؛ فالأمكنة عنده قد تكتسب حركةً إيهامية كما في وصفه للأشجار التي "تسافر مسرعة إلى الخلف" هرباً من القطار، حيث يصبح المكان مرآة لحركة الشخصية الداخلية وسرعة الزمن السردي.

المكان الثابت والمحمول: ثمة تباين بين الأمكنة "المزروعة" في الأرض كالأرصفة التي ترمز للثبات والجمود، وبين الأمكنة "المحمولة" كالعصا، التي تلازم المبدع في ترحاله، لتصبح مكاناً ميكروياً (صغيراً) يحمل دلالة الارتكاز والرفقة في السفر.

المكان المغلق والمفتوح: تتجلى جدلية باشلار بوضوح هنا؛ فالمغلق (كالغرفة والمسجد) يمثل الانكفاء والاحتواء، بينما المفتوح (كالغابة والصحراء) يمثل الانطلاق والمجهول.

فضاء العتبة والوصل: يولي الكاتب أهمية خاصة لـ "العتبة" ووسائل العبور والحواجز؛ وهي الفضاءات "البينية" التي تفصل بين عالمين أو حالتين، وتشمل وسائل النقل والحواجز المادية، وتعمل كحلقات وصل توترية في بنية السرد.

الخاتمة :

خلصت هذه الدراسة في استقرائها لمفهوم المكان ومقارباته في أدب الكاتب زياد علي إلى مجموعة من النتائج الجوهرية، أبرزها:

1- محورية المكان السردي: أثبت البحث أن المكان في أعمال زياد علي لم يكن مجرد وعاء جغرافي للأحداث، بل تحول إلى "فاعل سردي" وبنية دلالية تسهم في تشكيل الهوية النصية وتعميق البعد النفسي للشخصيات.

2- ثراء التشكيل المكاني: كشفت الدراسة عن تنوع مستويات المكان عند الكاتب، حيث تراوح بين الأمكنة "الموضوعية" المستمدة من واقع ترحاله، والأمكنة "المتخيلة" التي جسدت هواجس الاغتراب والضياع، مما خلق توازناً بين التوثيق الجغرافي والرؤية الفلسفية.

3- جدلية الألفة والمعاداة: برزت في النصوص ثنائية حادة بين أمكنة الألفة (كالبيت والمقهى) وأمكنة الاستلاب (كالمنفى والسجن)، وهو ما يعكس الصراع الوجودي للإنسان المعاصر في بحثه عن الاستقرار والأمان.

4- تداخل المفاهيم: بيّنت الدراسة أن المصطلح المكاني في النقد العربي (فضاء، حيز، مكان) لا يزال يعاني من تداخل دلالي، إلا أن أدب زياد علي استطاع استيعاب هذه المفاهيم وتوظيفها بمرونة عالية، خاصة في "فضاءات العتبة" ووسائل العبور.

5- ديناميكية الفضاء: اتسم المكان لدى الكاتب بالحركة والتحول (المكان المتحرك والمحمول)، وهو ما يتسق مع طبيعة حياته القائمة على الترحال، مما جعل نصوصه ميداناً خصباً لدراسة "جماليات العبور".

التوصيات:

في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث، يوصي الباحث بالآتي:

1- تعميق الدراسات التطبيقية: ضرورة توجيه البحث الأكاديمي نحو دراسة المجموعات القصصية الكاملة لزياد علي من منظور "شعرية المكان" بشكل أكثر تفصيلاً، لربط التشكيل المكاني بجماليات اللغة السردية لديه.

2- المقاربات البينية: تشجيع الدراسات التي تربط بين "سيرة الكاتب" (البيوغرافيا) وتجليات المكان في أدبه، لفهم أثر الترحال الواقعي على صياغة الأمكنة المتخيلة.

3- ضبط المصطلح النقدي: دعوة الباحثين في مجال السرديات الليبية إلى ضرورة توحيد وتدقيق المصطلحات المتعلقة بـ "الفضاء السردي" لضمان دقة التحليل وتجنب الخلط الدلالي.

4- دراسة "سيميولوجيا المكان": يوصي البحث بإجراء دراسات سيميائية تتناول دلالات (الأشياء) داخل المكان في أدب زياد علي (كالعصا، الرصيف، القطار)، وكيف تساهم هذه الوحدات الصغرى في بناء دلالة المكان الكبرى.

5- الاهتمام بالأدب الليبي المعاصر: تسليط الضوء على الرموز الأدبية الليبية التي أغنت المكتبة العربية بتجارب سردية فريدة، وتقديمها في قوالب نقدية حداثية تليق بقيمتها الإبداعية.

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة

الهوامـــــــــش:

1 سورة يوسف، الآية 54.
2 سورة الكهف، الآية 84.
3 مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، 2004م، مادة (مكُن).
4 مجمع اللغة العربية، معجم الوجيز، ط1، 1980م، مادة (مكن).
5 معجم الصحاح، ت. إسماعيل بن حماد الجوهري، ج 5، ص 2191.
6 سورة يس، الآية 67.
7 ريتا عوض، (مكانية القصيدة القديمة والحديثة)، مجلة الفصول الأربعة، العدد 29، السنة الثامنة، 1985م، ص63.
8 د. عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة، دار المنتخب العربي، لبنان، ط1، 1994م، ص197.
9 الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق: عبد المنعم الحفني، دار الرشيد، القاهرة، 1991م، ص 38
10 التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: دحروج، إشراف: رفيق العجم، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1996م، 212/1.
11 غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، ط3، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1987م، ص 23.
12 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (مكن)، 414/13.
13 المصدر نفسه.

14 الإشراقيون: جماعة من فلاسفة الصوفية كان أولهم السهروردي الحلبي، والإشراق نظريتهم في تفسير خلق العالم، ويقولون بتجوهر النفس وتألق النور الإلهي في إشراقات العقل الفعّال. ينظر: موسوعة دائرة المعارف الإسلامية، 2221/7.

15 الجرجاني: فيلسوف وعالم بالعربية، من كبار المصنفين. ينظر: الإعلام 7/5، ومعجم المؤلفين 216/7.

16 الجرجاني، كتاب التعريفات، ص 257.

17 الحيز: ينظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، 725/1، والجرجاني، التعريفات، ص 105.

18 التفتازاني: من أئمة العربية والبيان والمنطق. ينظر: الإعلام 219/7، ومعجم المؤلفين 228/12.

19 الخلاء: ينظر: الجرجاني، التعريفات، ص 112، والخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص 165، والتهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، 756/1.

20 يحيى وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 304، 2004م، ص 8.

21 سورة الأنعام، الآية 2.

22 بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي (رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني نموذجاً)، ط1، مجلس تنمية الإبداع الثقافي، بنغازي، ليبيا، 2004م، ص 19.

23 أرسطو (384-322 ق.م): فيلسوف يوناني، مؤسس مذهب المشائين وأحد كبار مفكري الحضارة الإنسانية. ينظر: المنجد، ص 37.

24 محمد عويد محمد ساير الطربولي، المكان في الشعر الأندلسي: من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2005م، ص 11، نقلاً عن كتاب (فن الشعر) لأرسطو.

25 فرديناند دي سوسير (1857-1913م): عالم سويسري ومن كبار علماء الألسنية، نشرت محاضراته بعد وفاته. ينظر: المنجد، ص 315.

26 أبو فرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت)، 17/2. وينظر أيضاً: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، إشراف: محمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م، ق301/1.

27 غاستون باشلار (1884-1962م): فيلسوف فرنسي بارز، كرس عمله لفلسفة العلوم والأبستمولوجيا وجماليات الخيال. ينظر: غاستون باشلار، جماليات المكان، ص 19.

28 المصدر نفسه، ص 199.

29 المصدر نفسه، ص 61.

30 بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي، ص 56.

31 جيرار جينيت: ناقد أدبي فرنسي، تخصص في دراسات السرد (**Sarratology**)، ولد في باريس عام 1930م.

32 الصفدي، خليل بن أيبك، حرف العين، تحقيق: محمد عبد المجيد لاشين، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2005م، 64/1.

33 بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته، ص 59.

34 ميشيل ماري فرانسوا بوتور (1926-2016م): روائي وناقد فرنسي، درس الفلسفة في السوربون.
35 بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته، ص 59.
36 محمد عويد الطربولي، المكان في الشعر الأندلسي، ص 13. وينظر أيضاً: بدر عبد الملك محمد، المكان في القصة القصيرة في الإمارات، ط1، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي، 1997م، ص 317.
37 ينظر: بدر عبد الملك محمد، المكان في القصة القصيرة في الإمارات، ص 264.
38 المصدر نفسه، ص 264.
39 ينظر: أشغال ندوة الرواية العربية: واقع وآفاق، ط1، دار ابن رشد، بيروت، 1981م، ص 400.
40 ينظر: بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي، ص 117-386.
41 زياد علي، لا تحرج الموت الجميل، ص 42.